

سلسلة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام
www.islamlight.net

شرح نوادر الإسلام

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب

رَحْمَةُ اللَّهِ

تأليف

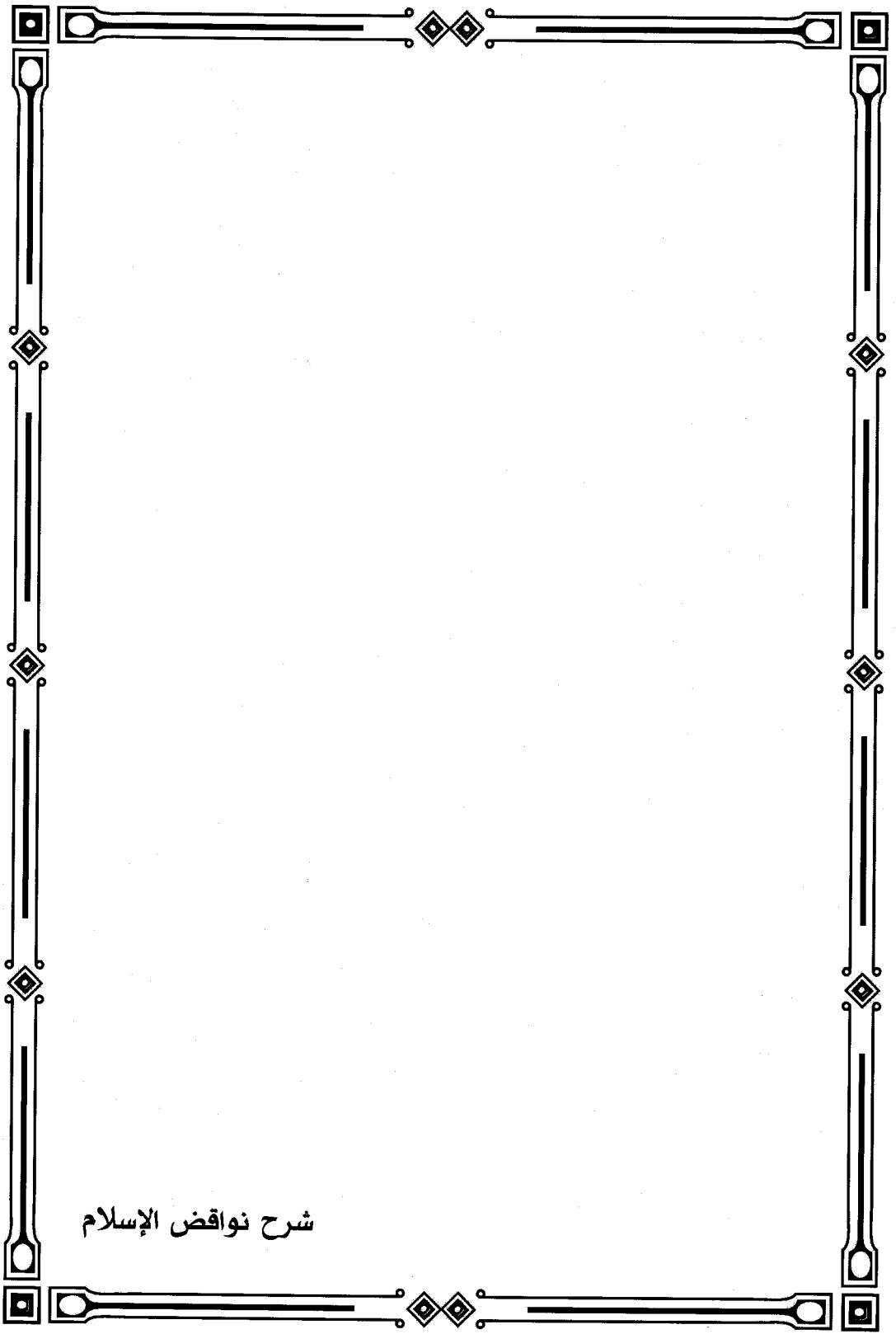
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

أعد أصله

اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام

راجعه وقرأه على المؤلف

عبد الرحمن بن صالح السديس



شرح نوافض الإسلام

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

مُقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا وسنيات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» [النساء]، والقائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يُقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ وَيُحِلُّونَهُ أَذْلَلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكُفَّارِ يُمْهِدُونَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُقْرِبُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيُّهُ» [المائدة]، والقائل: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَإِمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُفْلِتَكَ حَيْطَتْ أَعْمَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ» [البقرة]، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد القائل: «مَنْ بَدَّلْ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

أما بعد:

فهذا شرح لرسالة الإمام المجد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الموسومة بـ«نواقض الإسلام» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، ألقاه في مسجد الخليفي بمدينة الرياض، رغبت مؤسسة «نور الإسلام» بإخراجه على صورة كتاب مقروء؛ ليعم النفع به.

(١) رواه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وكان المنهج الذي سلك في إخراج الشرح ما يلي:

- ١ - مراجعة النص والتأكد منه.
- ٢ - تهيئته وتسيقه ليتناسب مع الطباعة.
- ٣ - عزو الآيات إلى أماكنها من المصحف.
- ٤ - تخريج الأحاديث وذلك باختصار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بذلك؛ وإن كان في غيرهما، فإنه يقتصر في الغالب على الكتب الستة، مع ذكر كلام المحدثين في صحة الحديث وضعيه، ولا يستقصى ذلك.
- ٥ - مقابلة المتن على طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ٦ - قراءة الشرح على الشيخ؛ لتعديل أو حذف أو إضافة أو إصلاح ما يراه مناسباً.

وختاماً نسأل الله تعالى أن تكون قد وفقنا لإخراجه بصورة مرضية، كما نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الشرح عموم المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المكتب العلمي

في مؤسسة شبلة نور للإسلام

www.islamlight.net

مقدمة الشارح

الحمد لله وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ دَعَا بِدُعَوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فهذه رسالة «نواقض الإسلام» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، إمام الدعوة السلفية في القرن الثاني عشر للهجرة النبوية، وهو عَلَمٌ من أعلام الإسلام، وقد عرفه العدوُّ والصديق، المؤمن والكافر؛ لأنَّه قام بأمْرٍ عظيمٍ أَلَا وهو الدعوة إلى التوحيد، وإلى السنة في وقت دَرَسَ فيه كثيرٌ من مَعَالِمِ التَّوْحِيدِ في كثيرٍ من العالم الإسلامي، وفَشَّلتْ فيه البدع وأنواع الشرك، وإنْ كان العالم الإسلامي فيه علماء وصلحاء وعُبَادٌ على المنهج الصحيح، وكثيرٌ منهم يَعْرِفُ الحقَّ، ويَعْرِفُ أَنَّ ما عليه كثيرٌ من المسلمين من البدع والمحدثات وأنواع الشرك باطلٌ، لكنَّ لا يَتَهَيَّأُ له الدعوة إلى التَّغْيِيرِ؛ إِمَّا لِتَقْصِيرِهِ مِنْهُ وَفَتُورِهِ، أَوْ لِعوائق تعتريه عن القيام بالدعوة والتصديع بحقيقة الإسلام التي يجهلها جمهور الناس، وهي تَخَالُفُ ما نَشَوْرُوا عَلَيْهِ مِنْ الشَّرَكِ وَالْبَدْعَةِ.

ولكنَّ اللهُ تَعَالَى قد ضَمَّنَ حَفْظَ هَذَا الدِّينِ، فَرِسَالَةُ مُحَمَّدٍ تَعَالَى هِي الرسالةُ الْخَالِدَةُ؛ لأنَّه خاتَمُ النَّبِيِّينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَبْقَى حَجَةُ اللهِ عَلَى الْثَّقَلَيْنِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَهَذَا تَحْقِيقٌ بِحَفْظِ اللهِ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَحَفْظِهِ لِسَنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ تَعَالَى، فَالرَّسُولُ مَا مَاتَ إِلَّا وَقَدْ تَلَقَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ كِتَابَ اللهِ وَسَنَّتَهُ الْقَوْلِيَّةَ وَالْفَعْلِيَّةَ وَالْتَّقْرِيرِيَّةَ، وَشَهَدُوا سِيرَتَهُ تَعَالَى،

وقد أمرهم بالبلاغ، ففي خطبة حجة الوداع يقول: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»^(١)، ويقول: «بلغوا عنِي ولو آية»^(٢)، وقد بلغ هو، وقام أصحابه بالبلاغ والدعوة والجهاد، كما جاهد الرسول ﷺ في سبيل الله، وقاتل الكفار حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، قال تعالى: «إِذَا جَاءَهُ الْكُفَّارُ حَتَّى دَخَلُوا النَّاسَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًاً، قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي الْأَفْوَاجِ»^(٣)، فَسَيَّدَ اللَّهُ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَيَّدَ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُ لِلَّهِ كَانَ تَوَابًا ③» [النصر]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما سأله عمر رضي الله عنه عنها: «أَجَلْ رَسُولُ اللَّهِ أَعْلَمُ إِيَّاهُ»، قال: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»^(٤).

ثم حمل هذا الدين التابعون وتابعوا التابعين ومن بعدهم على مرّ
القرون، فلم يزل «في كل زمان فترة بقایا من أهل العلم يدعون من ضلّ
إلى الهدى... ويبصرون بنور الله أهل العلم»، كما قال الإمام أحمد في
خطبة كتابه «الرّد على الزنادقة والجهمية»^(٤)، وجاء في الحديث
المشهور: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها
دينها»^(٥) وهذا ما حدث، فلم يزل في هذه الأمة من يدعو إلى الله ويبين
شرعه وما جاء به خاتم النبيين وإمام المرسلين صلّى الله عليه وعليهم
أجمعين، ومن أعلام هؤلاء الدعاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد
جعل الله في قلبه همة عالية للدعوة إلى التوحيد والسنّة، وبيان بطلان
البدع والمحدثات والخرافات، والاعتقاد أن الأولياء أو من تدعى ولايته
ينفعون ويضرّون ويُدعون ويُستغاث بهم؛ أحياه أو أمواتاً.

(١) رواه البخاري (١٠٥)؛ ومسلم (١٢١٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه وغيره.

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٣٦٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) «الرد على الزنادقة والجهمية» ص ٥٥.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٩).

وقد أكرم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالنهوض بهذه الدعوة، وقيض الله له الإمام محمد بن سعود رحمهما الله، فسانده على ذلك، فظهرت هذه الدعوة، وانتشرت، وانتفع بها أهل هذه البلاد أولاً ثم بقية أرجاء الجزيرة، وسرت آثارها إلى العالم الإسلامي؛ شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ولا نزال - والله الحمد - نتفياً ونتمتع وننعم بآثار هذه الدعوة، فأفضل العالم الإسلامي مجتمعاً هو هذا المجتمع - والله الحمد -؛ لأن أكثر العالم الإسلامي قد أثّرت فيه الخرافية والبدعة والشرك والقبورية، وأظهر ما يكون هذا في طائفتين:

الرافضة، والصوفية.

فالصوفية القبورية يقيمون القباب والمساجد على الأضرحة، ويحجّون إليها ويطوفون بها ويستغيثون بمن في تلك القبور في الرخاء والشدة. والرافضة هم أصل هذا الباطل، وهم أغلط شركاً وبدعة، فهم شرّطوا على الأمة؛ اجتمعوا فيهم شرور سائر الفرق.

ودعوة الحق محاربةً من أعداء الإسلام، فالكافر من اليهود والنصارى والمنافقين والذين في قلوبهم مرض؛ كلهم خصوم لدعوة الحق من عهد الرسول ﷺ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثر من آثار تراث وعلم ودعوة الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحم الله الجميع.

وقد مضى على الناس سنون - والله الحمد - لا يجرأ أحد أن يتكلم في دعوة التوحيد ودعوة السنة، ولكن في السنوات الأخيرة أُعلن بعض أعداء دعوة التوحيد والسنة حرباً سافرةً على هذه الدعوة، ورفعوا رؤوسهم وكشفوا عن عوارهم وباحوا بما تنطوي عليه ضمائرهم من الحقد الدفين، نسأل الله أن يرث كيدهم في نحورهم، وأن يحفظ على هذه البلاد ما أكرمها الله به من التوحيد والسنة.

وهذه الرسالة «نواقض الإسلام» رسالة صغيرة، وقد ضمنها الشيخ رحمه الله عشرة من النواقض سمّاها «نواقض الإسلام»، وقد تناولها بعض المشايخ المعاصرين بالشرح والبيان^(١) - جزاهم الله خيراً -.

ونواقض الإسلام هي: موجبات الكفر بعد الإسلام؛ لأنها تنقض إسلام العبد، وتصيره مرتدًا، وعند أهل العلم باب من أبواب الفقه اسمه: «حكم المرتد»، والمرتد عن الإسلام قال فيه الرسول صلوات الله عليه: «من بدّل دينه فاقتلوه»^(٢).

والله تعالى ذكر الردة في كتابه في مواضع، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْدُوْنَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، كثيرٌ من اليهود والنصارى يودون أن يردو المسلمين عن دينهم بقدر ما يستطيعون، لكن هيهات، إلا أنهم قد يسعون في ردة بعض الناس فيستجيب لدعوتهم. وقال تعالى في المشركين: ﴿وَلَا يَرَأُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَقَّ يَرْدُوْنَكُمْ عَنِ دِيْنِكُمْ إِنْ أَسْتَطَلُّ عَوْنَآ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فلا يزال الكفار يقاتلون المسلمين من أجل أن يردوهم عن الإسلام؛ لأن هذه هي الكرامة التي أكرم الله بها المسلمين وفضلهم بها على غيرهم، فالكافر يحسدونهم على هذه النعمة.

وقال صلوات الله عليه: ﴿وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، يريدون أن يكفر المسلمين حتى يكونوا سواء في الكفر؛ لأنه إذا ارتدّ المسلمون ساواوا الكافرين بالكفر، وفاقهم الكافرون فيما أتوا من الدنيا، وهذا مطلبهم، الواقع شاهد بهذا، فالآن أُمم الكفر تعمل ليلاً

(١) من الشروح المطبوعة: الإعلام بتوسيع نواقض الإسلام، تيسير ذي الجلال والإكرام بشرح نواقض الإسلام، التبيان في شرح نواقض الإسلام.

(٢) تقدم في ص ٥.

ونهاراً - ولا سيما في هذه العصر - من أجل صد المسلمين عن دينهم بشتى الطرق، وهذه غاية إبليس؛ فغايته من الإنسان أن يكفر، وإذا لم يَقُوَّ على هذا نزل لما دونها، وهي أن يجره إلى البدع ثم إلى كبار الذنوب، كما ذكر العلامة ابن القِيْم في العقبات التي يطرد الشيطان الإنسان فيها واحدة بعد الأخرى^(١).

لكن الكفار قد لا يقوون على هذا من أول وهلة، فهم يسلكون لصد المسلمين عن دينهم أقرب الطرق، فيصدّونهم بما يلقون إليهم من الشهوات التي تصرفهم عن طاعة ربّهم وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والشبهات التي تحرّرهم وتُدخل الشك في دينهم.

وكثير من وسائل الإعلام الآن تُقذف بهذا في بيوت أكثر الناس، فإنهم لا يألُون المسلمين خبالاً، ويحرصون على إفساد عقائدهم وأخلاقهم.

ومن أقرب الطرق لإفساد مجتمعات المسلمين إفساد المرأة، لذا اشتَدَّ جهدهم على إفسادها وتضليلها؛ لأن المرأة إذا فسّدت سرى فسادها إلى المجتمع.

واعلم أن أسباب الردة كلها ترجع إلى أمير واحد هو مناقضتها للشهادتين.

فالإسلام مداره على شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فالكافر إذا شهد أن لا إله إلا الله؛ ظاهراً وباطناً، وشهد أن محمداً رسول الله؛ ظاهراً وباطناً صار مسلماً، فإن شهد بذلك بلسانه فقط كان منافقاً، والمنافق من المسلمين في الدنيا وأحكامها.

وشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن الإيمان بالله في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فتوحيده في ربوبيته يكون بالإيمان بأنه لا ربّ غيره،

(١) «مدارج السالكين» ٢٢٢/١.

وفي إلهيته بالإيمان بأنه لا إله سواه، ولا معبود بحق إلا هو، وفي صفاته باعتقاد أنه المنفرد في صفاته، فلا شبيه له في شيء من صفاته بِهِمْ.

إذاً، شهادة أن لا إله إلا الله ينافي الشرك بالله؛ لأنها كلمة التوحيد، كما أنها تقتضي العلم واليقين والانقياد والمحبة.

وشهادة أن محمداً رسول الله تتضمن الإيمان بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم النبي العربي الأمي رسول الله إلى الثقلين: الجن والإنس، وأرسله **﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفِّرُواٰ وَلَهُ كَرَةُ الْمُشْرِكِينَ﴾** [التوبه: ٢٣].

وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي تعظيم الرسول بِهِمْ، والإيمان بكمال خلقه وكمال شريعته، قال تعالى: **﴿أَلَيْوَمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بِعَمَّىٰ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنَكُمْ﴾** [المائدة: ٣]، فهذه حقيقة الشهادتين. وشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تقتضي العلم بمعناهما وحقيقةهما والانقياد لما دلت عليه.

إذاً؛ جميع أسباب الردة التي نسميها في هذه الرسالة نواقض الإسلام مدارها على مناقضة الشهادتين.

ويمكن حصر النواقض في أصول:

- ١ - الشرك.
- ٢ - والشك.
- ٣ - والإعراض.
- ٤ - والإباء والاستكبار.
- ٥ - والتكذيب.
- ٦ - والجحد.
- ٧ - والتنقص لله أو لآياته أو رسوله؛ والتنقص: الطعن في ذات الله

تعالى، أو في صفاته، أو الطعن في الرسول ﷺ، أو فيما جاء به.

٨- النفاق بأنواعه.

هذه هي جماع النواقض، وكلما ترجع إلى مناقضة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالتكذيب إما بوحدانية الله أو التكذيب بربوبيته أو التكذيب بإلهيته، أو الشك في ذلك، أو الإعراض عن دعوة الرسول بالقلب أو الإباء، فكثير من الكفار يعرف أن الرسول ﷺ حق؛ كما قال ﷺ: «الَّذِينَ مَا تَيَّنَ لَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» [البقرة: ١٤٦]، ويعرفون صدقه، ولكن يمنعهم من الانقياد لدعوته والاستجابة له: الكبر، كما جاء في قصة هرقل عظيم الروم عندما أعلن اعترافه بنبوة محمد ﷺ، ولكنه منعه عن الانقياد والاستجابة الكبر والبخل بملكه، كما جاء في الحديث: «ضَنَّ الْخَبِيثُ بِمُلْكِهِ»^(١).

والشيخ له تعبيرات جميلة ودقيقة، فتسميه رسالته بـ «نواقض الإسلام»، تشابه ما في أبواب الفقه «نواقض الموضوع» التي تُبطل الطهارة، فـ الإسلام فيه ظهر من جهة أنه عقد بين العبد وربه، فإذا شهد الإنسان الشهادتين فقد عقد مع ربّه أن يوحده وأن يعبده وأن يتبع رسوله ﷺ، وهذا أعظم العقود، وأسباب الردة نقض لهذا العقد؛ فكما أن نواقض الموضوع مفسدات تبطل الطهارة، كذلك هذه النواقض تُبطل الإسلام الذي يتضمن الطهارة الحقيقة المعنوية، فالتوحيد والإيمان ظهر؛ ولهذا سمي الله المشركين نجس، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» [التوبه: ٢٨]، والمؤمن قال فيه الرسول ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ»^(٢).



(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ١/٢٦٠؛ وانظر: «نصب الراية» ٤/٤٢٢.

(٢) رواه البخاري (٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

* قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم أن نوافض الإسلام عشرة نوافض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشَرِّكَ بِهِ، وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا مَن يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارِ وَمَا لِفَلَلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجنة أو للنار.

الشرح

يقول الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: (اعلم أن نواقض الإسلام عشرة)، لعله يريد: إن أهم نواقض الإسلام، أو أصول نواقض الإسلام عشرة، وإلا فنواقض الإسلام تفصيلاً كثيرة، والفقهاء في باب «حكم المرتد» ذكروا أمثلة كثيرة مما يوجب الردة والخروج عن الإسلام، ولكن الشيخ ذكر هذه العشرة؛ لأنها أصول أو جوامع لأسباب الردة، يقول الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

(الأول: الشرك في عبادة الله)، وذلك بصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، واتخاذ ندّ مع الله؛ كما قال ﷺ: «مَنْ ماتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نَدّاً دَخَلَ النَّارَ»^(١)، وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ٦١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشَّأَ وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَمَّا فَاتَّخَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ

(١) رواه البخاري (٤٤٩٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَلَا تُنْعَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة]، وهذا الشرك هو الشرك الأكبر؛ لأن الشرك في الشرع نوعان:

- شرك أكبر.
- شرك أصغر.

والشرك الأكبر ينافي أصل التوحيد، ويشمل الشرك في الربوبية، وفي الإلهية، وفي أسماء الله وصفاته، ولكن الشرك في العبادة هو الغالب على الأمم؛ قديماً وحديثاً.

والشرك في العبادة أن يعبد غير الله مع الله، فالناس بالنسبة للاستسلام لله ثلاثة:

الأول: الموحد: وهو من استسلم لله بأفراده بالعبادة وحده لا شريك له.

الثاني: المشرك: وهو من استسلم له ولغيره، بأن عبده وعبد معه غيره.

الثالث: المستكبر: وهو من لم يستسلم لله أصلاً، بل استنكر عن عبادة الله.

قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَسْتَكْفِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسْتَكْبِرْ فَسِيَّسُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾** [النساء: ١٧٢]، وقال تعالى: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَسْتَكَبُوا وَأَسْتَكَبُرُوا فَيَعْذَبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾** [النساء: ١٧٣].

فالMuslim الموحد إذا أشرك ارتد عن الإسلام. أما من كان مشركاً من الأصل، فهذا لا نسميه مرتداً؛ لأنه لم يسلم أصلاً.

فالكافر عند أهل العلم نوعان:

الأول: كافر أصلي، مثل اليهودي أو النصراني أو البوذي أو غيرهم من طوائف الكفر.

الثاني: المرتد، وهو من أسلم ثم وقع في موجب من موجبات الرّدّة والكفر.

وذكر الشيخ من أدلة هذا النوع قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ» [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: «إِنَّمَا مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ الْثَّارُّ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» [المائدة: ١٢٣]، وقال تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَيْسَ أَشْرَكُتَ لِيَجْبَلَنَّ عَمَّكَ وَلَكَوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [١٥] [الزمر].

هذا هو الشرك الأكبر، وله ثلاثة خصائص:
أولاً: أنه لا يُغفر.

الثاني: أنه موجب للخلود في النار، وتحريم الجنة على صاحبه.

الثالث: أنه يُحطّ جميع الأعمال.

فمن عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، فكُلُّ عِبَادَةٍ يَعْبُدُ اللَّهُ بِهَا فَهِيَ حَابِطَةٌ؛ بَلْ إِنْ عِبَادَتَهُ اللَّهُ لَا تُسَمِّي عِبَادَةً، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ فِي بَعْضِ مَسَائِلِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: «أَنَّ مَنْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدُ اللَّهَ»^(١).

ومن أمثلة الشرك (الذبح لغير الله)، فالذبح لله تقرّباً من أنواع العبادة، وقد قرن الله التقرّب بالذبح إليه بالصلاه، قال تعالى: «فَلَمَّا أَنَّ صَلَاتِي وَشَكِيَ وَعَيْنَيَ وَمَمَّا فِي لَلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الأنعام: ١٢٣]، وقال تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْهَرْ» [الكوثر: ٣]؛ فَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ يَتَقْرَبُ إِلَيْهِ كَذِبَحِ الْجَنَّ، أَوْ لِصَاحِبِ قَبْرٍ، أَوْ لِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ كَمَا هِيَ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، فَقَدْ أَشْرَكَ.

والشيخ نصّ على الذبح للجنة؛ لأن بعض المسلمين يذبح للجنة؛ لاعتقاده أنهم آذوه، فيزيد أن يكفّ شرهم عنه بالذبح لهم، أو يذبح لهم

(١) كتاب «التوحيد» ص ٩، بمعناه.

بأمر بعض المضللين الخرافيين لأجل الاستشفاء، فالذبح لغير الله تقرباً إليه من أنواع الشرك في العبادة، كمن يصلّي لغير الله، فمن صلّى لصاحب قبر من نبيٍّ أو صالح أو أيٍّ معبد يتقرب إليه من دون الله، فقد أشرك.



* قال الشيخ رحمه الله:

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائل يدعوههم ويسائلهم الشفاعة
ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعاً.

الشرح

وهذا في الحقيقة هو نوع من الشرك، فهو عند التحرير داخل في الأول، فالذى يدعى الموتى والغائبين، ويستغىث بهم في الرخاء والشدة ويتوكل عليهم في حوائجه، أو في نصره على الأعداء، أو في مغفرة ذنبه، أو في نجاته من النار، أو في شفاء مريضه، أو في نجاته من كربته؛ زاعماً أنه يفعل ذلك طلباً لشفاعتهم، فإن هذا هو ما كان عليه المشركون؛ كما قال عليه السلام: **﴿وَيَتَبَدَّلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضَرُّهُمْ وَلَا يَفْعَمُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** [يونس: ١٨]، وقال عليه السلام: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُزْفَقَ﴾** [الزمر: ٣]؛ فهم إما أن يعبدوا الصالحين مباشرة، أو ما ينسبونه من تماثيل ترمز إليهم.

فمن تقرب إليهم معتقداً أنهم ينفعون أو يضرون، وأنهم يدبرون هذا العالم ويتصررون في هذا الوجود؛ فقد جمع بين نوعي الشرك في الربوبية والإلهية.

الشرك في الربوبية باعتقاد أنهم يدبرون أمر هذا العالم، وأنهم يملكون النصر على الأعداء، ومغفرة الذنب، والنجاة من النار، وترتبط على ذلك الشرك في العبادة بالذبح لهم، والصلوة لهم، والتقرب إليهم بأنواع القربات.

والناقض الثاني الذي ذكره الشيخ وهو (من جعل بينه وبين الله وسائل) إلخ. من جنس ما كان عليه المشركون الأولون، ولا شك أن هذا النوع أهون ممن يعبد ما يعبد معتقداً أنه ينفع ويضرّ، فيجمع بين الشركين، والله تعالى لم يجعل بينه وبين عباده واسطة في العبادة؛ بل أمر بأن يتوجهوا إليه بالعبادة وحده لا شريك له، لكنه جعل بينه وبين عباده واسطة في تبليغ شرعه وهم الرسل، فالرسل وسائل بين الله وبين عباده، فلا طريق للعباد إلى معرفة ربّهم ومعرفة دينه وشرعه إلا طريق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فهم وسائل في تبليغ شرع الله، فهذه الواسطة حقّ، ومن اعتقد أنه يستغني عن وساطة الرسل في معرفة الله، ومعرفة دينه وما يقرب إليه؛ فهو كافر، والله أعلم.



* قال الشيخ رحمه الله:

الثالث: مَنْ لَمْ يَكُفِّرْ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَ فِي كُفَّرِهِمْ، أَوْ صَحَّ مَذَهَبِهِمْ؛ كَفَرَ.

الشرح

(الثالث) من النواقض: (من لم يكُفِّرْ الْمُشْرِكِينَ) الذين يعبدون مع الله غيره، فيعبدون الأحجار والأشجار، أو الموتى، أو البقر، أو الصليب، أو المسيح وأمه؛ كما قال عليه السلام: **﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعُوِّسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّتِ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنَّهُدُونِي وَأَنِّي إِلَهُنِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** [المائدة: ١١٦]، **وقال عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾** [المائدة: ١٧]؛ فمن لم يكُفِّرْ هؤلاء، فهو كافر. كمن يقول: إن اليهود والنصارى على دين صحيح، وهناك من الطوائف من يقول: إن عباد الأصنام على حق، وأن دينهم صحيح!! فمن لم يكُفِّرْ مَنْ كَفَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ كَفَرَ.

وقوله: (أَوْ شَكَ فِي كُفَّرِهِمْ) كَفَرَ؛ لأن الشك في الحق كالتكذيب به، كأن يقول: والله لا ندرى اليهود والنصارى على حق أم لا! أو يقول: لكلّ أن يتدين بالدين الذي يناسبه.

وقوله: (أَوْ صَحَّ مَذَهَبِهِمْ)، كأن يقول: إنهم على دين صحيح، وأن الطرق إلى الله تنوّعت؛ فكما أن المسلمين على دين صحيح فهم كذلك، أو قال: إنه دين صحيح في نظرهم، كما أن دين الإسلام صحيح في نظر المسلمين. فسائل هذا يجب أن يبيّن له أنّ كلامه باطل، وأنه لم يفهم في الحقيقة أحقيّة الإسلام، الذي هو دين الله في الواقع، وفي نفس

الأمر ليس في نظرنا فقط؛ لأن مفهوم كلمة في «نظر المسلمين»؛ يعني: أنه حق في نظرنا، لكن الشيء إذا كان في نظرك حق قد يكون في نفس الأمر باطلًا، والإسلام ليس كذلك؛ بل هو دين الله الحق في الواقع، وفي نفس الأمر وفي نظر المسلمين - والله الحمد -؛ بل وفي نظر كثير من الكفار الذين يعرفون الأمور، كما تقدم أنهم يعرفونه^(١)، ولكن يمنعهم من الدخول في الإسلام الكبير والتعصب والتقليل.

وهناك دعوة معاصرة باطلة تُعرف بالدعوة إلى وحدة الأديان الثلاثة: «الإسلام واليهودية والنصرانية»، وتقول: إن الكل دين صحيح، وأن الإنسان لا ضير عليه أن يتدين باليهودية أو النصرانية أو الإسلام.

وهذه دعوة باطلة تتضمن الكفر، ومن يعتقدها فهو كافر؛ لأنها مكذب لله ورسوله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ويقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ أَللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةَ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال تعالى في اليهود: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعِيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ أَنَّيْسَنَ بِقَبْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وهذا شامل لأولئك وأخرين.

وهذه الدعوة تتضمن أن رسالة محمد ﷺ ليست عامة للبشرية، بل - كما يقول بعض النصارى -: إنه رسول الله إلى العرب، والله ﷺ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعَ عَرَبَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]؛ فكل من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ، وتدين بدين غير الإسلام؛ فهو كافر، فلا بد من التيقظ لهذه الدعوة، وعدم الالغتار بها، فالدين الحق هو دين الإسلام. نعم الرسل كلهم كان دينهم الإسلام، والذين كانوا متبعين لموسى عليه السلام ومتبعين لعيسى عليه السلام كانوا

مسلمين، لكن الذين حرّفوا وانحرفوا من أهل هاتين الملتئتين، وارتكبوا أنواعاً من الكفر؛ كفروا بعملهم هذا، كما كفروا بعدم اتّباعهم محمد ﷺ.

فالنصارى كفروا بعبادتهم لل المسيح وأمه، وزعمهم أنه الله أو ابن الله، وكفروا ثانياً بتكذيب محمد ﷺ، ولو كانوا مستقيمين على دينهم الأول، ثم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ كانوا كفاراً، ومن مات منهم على ذلك فهو في النار، كما صحّ بذلك الحديث عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «والذي نفس محمد ببده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١).
ونلاحظ أن الناقض الأول والثاني يتعلّقان بشهادة أن لا إله إلا الله، فهما ينافقان شهادة أن لا إله إلا الله. أما الثالث، فهو ينافق الشهادتين.



(١) رواه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

* قال الشيخ رحمه الله :

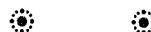
الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي صلوات الله عليه أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الشرح

قوله رحمه الله : (الذى يفضل حكم الطواغيت)؛ الطواغيت الذين يحكمون بين الناس بموجب التقاليد والعادات التي يسمونها: «السلوم»، وكل حكم ينافق شرع الله فهو باطل، ومن ذلك القوانين المخالفة لشرع الله ودينه الذي بعث به رسلاه، فإنها أحكام طاغوتية جاهلية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَوْنَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّلْعَوْتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الْشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَأَفْحَمْكُمُ الْجَهَنَّمَ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحَسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوَقْنَوْنَ﴾ [المائدة]؛ فمن فضلها على حكم الله ورسوله، أو سواها به، أو سوغ الحكم بها - ولو مع تفضيل حكم الله ورسوله -؛ فإنه كافر بالضرورة.

والهدي: معناه: السيرة والطريقة، والذين يقولون: إن هدي غير الرسول صلوات الله عليه أكمل من هديه؛ قولهم هذا ينافق شهادة أن محمداً رسول الله؛ لأن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي الإيمان بأنه رسول الله حقاً، وأن ما جاء به من عند الله، وأنه رسول الله إلى جميع الناس، وأنه أكمل الناس هدياً، وأنه أعدل الناس حكماً ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا إِنَّمَا قَضَيْتَ

وَسَلَّمُوا سَلِيمًا ﴿٦﴾ [النساء]، كما أنها تقتضي الإيمان بوجوب اتّباعه وطاعته في أمره ونفيه وتصديقه في كلّ ما أخبر به.



* قال الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الخامس: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ
كَفَرَ.

الشَّرْح

وهذا في الحقيقة ضرب من النفاق، والبغض عمل قلبي، والمراد أنه يبغضه بغضاً دينياً عقلياً، ويرى أنه شيء قبيح وبغيض، ويؤدي بالضرورة إلى أن يبغض من يدعوه إليه، ويمكن أن يمثل لهذا بشخص يبغض الصلاة، فمن يبغضها لا يرى لها فضيلة ولا نفعاً، ويرى أن هذه التصرفات من الوقوف والانحناء والركوع والسجود؛ أنها سفاهة وجهالة، فيبغضها، وبغضها يؤدي إلى بعض مَنْ يعملاها.

أما من يؤمن بالله ورسوله، فإنه يؤمن بشرعية الصلاة، وأنها حق من عند الله، وأن في فعلها الأجر والثواب، ويحب أن يقيمها، ولكنه يجد مشقة في القيام للصلاه، فيكره القيام للصلاه الكراهة الطبيعية، لكنه لا يستجيب لهذه الكراهة، وإنما يعصي هواه، فهذا نوع آخر لا يدخل فيما نحن فيه؛ لأن هذه كراهة طبيعية تضادها المحبة الإيمانية، فالجهاد كريه للنفوس؛ كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، والإنسان يكره الموت بطبيعة، ويكره الجهاد لما فيه من مشقة ومخاطرة بالنفس، ولكن إذا صح وقوى الإيمان بالله، والإيمان بفضل الجهاد والشهادة في سبيل الله صار المر حلواً؛ ولهذا الصادقون المجاهدون يخاطرون بأنفسهم؛ لأنهم باعواها لله: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمَّا الْمُكَافِرُ فَيُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ﴾

وَقَنَّوْتُ وَعْدًا عَلَيْهِ حَتَّىٰ فِي التَّوْرِئَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَفْوَىٰ بِعَهْدِهِ
مِنْ أَنَّ اللَّهَ فَاسْتَبِشُوا بِيَعْكُمُ الَّذِي بَأَيَّعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ **(١١)**
[التوبه]، فهذا عقد المبادعه، والمشتري هو الله، وهو مالك النفوس، لكنه
تعالى كرمًا منه جعل بذل المؤمنين لأنفسهم بطوعهم و اختيارهم، وبذلهم
لأموالهم بيعاً، وسمى قبوله شراء، والثمن الجنة.

فالمؤمنون المجاهدون يكرهون الموت، لكن يحبون ما يحبه الله، فالجهاد يحبه الله، فهم يحبونه ويستعدونه؛ لأن الله يحبه، فتضمحل هذه الكراهة وتضعف حتى ما يحس الصادق بهذه الكراهة، وهذا يدل على قوة الإيمان وصدق الرغبة، وكذلك عند الصدقة والبذل لله، فكل أحد يكره إخراج الصدقة والمال، إلا إذا قوي إيمانه، فيصير في نفسه ارتياح يُخرج به المال، وهو منشرح الصدر يتهلل، وهكذا سائر الأعمال الصالحة الشاقة مكرروحة على النفوس بمقتضى الطبع، وهذه الكراهة هي المرادة في قوله **عليه السلام**: «حَفَّتِ الْجَنَّةَ بِالْمَكَارِهِ»^(١).

أما البغض الذي هو كفر ونفاق، فهو الذي يرى أنه إن صلى فهو عاشر، لكنه يصلى رباء؛ لأنه بين المسلمين فيخشى إن لم يصل أن يُشنعوا عليه، كما كان بعض المنافقين في عهد الرسول **عليه السلام** يصلون ويجاهدون حتى إن أمرهم قد يخفى على بعضهم، بل خفي أمر بعضهم على رسول الله **عليه السلام**، قال تعالى: **﴿وَمِنْ حَوْلَكُمْ مِنْ أَغْرَابٍ مُنَفَّقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ أَنْفَاقٍ لَا تَعْلَمُهُنَّ تَحْنَ نَعْلَمُهُمْ سَنَعْدِهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْدُونَكُمْ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾** [التوبه]، فهذه فئة من المنافقين كانوا موغلين في التستر.

وهذا البغض المُخْفِي يسمى نفاقاً، لكن إذا أظهره وجهر به، وقال: أنا أبغض هذه الصلاة، انكشف الغطاء وباح بالنفاق، وصار

(١) رواه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك **عليه السلام**.

مرتدًا؛ لأنَّه تكلَّم بالخبث والنفاق الذي في باطنه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحَبَّطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٢٨] [محمد].



* قال الشيخ رحمه الله :

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله أو عقابه؛ كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿فُلِّ أَبِلَّهُ وَمَائِنَهُ، وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِزُونَ ﴾^{٦٦} لَا تَعْنَذُرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَنِكُمْ﴾ [التوبه: ٦٥ - ٦٦].

الشرح

والاستهزاء: السخرية^(١). والاستهزاء والسخرية تنم وتدل على الاحتقار والكرارة، فالشيء المعظم محل للشناه والتجليل والتعظيم والإشادة، والاستهزاء والسخرية إنما يكون بالشيء المهين عند الساخر، وهكذا كان أعداء الرسل يسخرون ويستهزرون بأنباء الله وبالمؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ إِمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^{٦٧} [المطففين]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْهَرَ إِرْسَلِي مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ١٠].

والاليوم الموقف يتكرر، فقد نصحت ألسن المنافقين في الصحف والإذاعات بالاستهزاء البين والخفي بدين الله ﴿وَلَتَعْرِفُنَّهُمْ فِي لَهْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، فهذا ضرب من النفاق.

وقد تجد شخصاً مسلماً في الظاهر يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويحجّ؛ لكن تأتي مواقف، تراه فيها يسخر ويستهزئ بالصلاه وفاعليها، فيقول: ما هذه الصلاة؟! الذي يصلي كأنه يلعب، فكلمة «يلعب» هذه لا تخرج من فم إنسان يؤمن بالله ورسوله.

أو يستهزئ بمناسك الحجّ، ويقول: ما فائدة هذا الدوران حول

هذه البنية، وما فائدة رمي هذا الحصى، هذا لعب! وهذا الكلام منه هو عين الكفر.

فالاستهزاء بالله أو برسوله أو بالقرآن أو بشيء مما جاء به الرسول ﷺ؛ يدل على التكذيب، وإن لم يصرح بالتكذيب.

والذي يخالط الناس أو يقرأ ما يكتبون يجد من هذا شواهد كثيرة، ووسائل الإعلام مسرح وميدان للحن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا إِنَّا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَّطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، قولهم بين المؤمنين: نحن إخوانكم، ونحن مؤمنون؛ هذا استهزاء بالمؤمنين ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٦]، فحذاري حذاري من كلمة يفوه بها الإنسان لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار^(١)، ويكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاءه.

وتقدم أن جميع أسباب الرّدة ترجع إلى أنها تناقض الشهادتين، والشهادتان تقتضيان تعظيم الله ورسوله وما جاء به، والاستهزاء ضد ذلك، وذكر الشيخ الدليل على هذا الناقض قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِلَّهُ وَأَبِلَّهُ وَرَسُولُهُ كُنُّتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْنِذُرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَنِكُمْ إِنْ تَفْعَلُوا عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذَّبُ طَائِفَةٌ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبه: ٦٦]، وهذه الآيات جاء في سبب نزولها؛ أن رجلاً قال في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغم بطنونا ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء؛ يعني: النبي ﷺ والمؤمنين! فسبوا الرسول ﷺ، وخيار أصحابه بالجبن والكذب والشرء في الأكل، فأخبر الله رسول الله ﷺ بذلك، فجاء هذا القائل ليعتذر، فوجد القرآن قد سبقه، فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض

(١) أخرج البخاري (٦٤٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».

ونلعب، فقال له رسول الله ﷺ: «أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»^(١).

فهذا الرجل كان مؤمناً، أو كان عنده أصل الإيمان وإيمانه ضعيف؛ فكفر، أو كان منافقاً مُظهراً للإيمان، ثم باح بالكفر.

فالخطر عظيم، ويجب على المسلم أن يحبس لسانه، ولا يمزح في أمر الدين، وفيما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، وفيما يتعلق بالقرآن وبالسنة، وهدي رسول الله ﷺ؛ لأن المزح معناه: الهزل ضد الجد، فالمزح والسخرية والضحك يكون فيما بين الناس في الأمور العادية. أما أن يتجاوز إلى الاستهزاء بالرب العظيم، أو برسوله الكريم، أو بدينه القويم؛ فهذا يخرج به الإنسان من الإسلام إلى الكفر.



* قال الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به؛ كفر، والدليل قوله تعالى: **﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِنَّمَا تَخْنُّ فِتْنَةً فَلَا تَكُنُوا﴾** [البقرة: ١٠٢].

الشرح

هذا هو الناقض السابع من النواقن: السحر، والسحر من علم الشياطين، قال تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَلَّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَكَنَّ إِبَابَلْ هَرُوتَ وَمَنْزُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِنَّمَا تَخْنُّ فِتْنَةً فَلَا تَكُفُّرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [البقرة: ١٠٢].

قال: (ومنه الصرف والعطف)، والصرف: هو السحر الذي يقصد به تنفير الأحبة بعضهم عن بعض؛ كالتفريق بين الزوجين **﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ﴾**، وهذا صرف فيه تأثير على النفوس حتى ينصرف الزوج عن زوجته، أو الزوجة عن زوجها، أو ينصرف الأخ عن أخيه أو الولد عن أمه أو عن أبيه، أو الصديق عن صديقه.

وقد ذكر في الآية التفريق بين الزوجين؛ لأنَّه أكثر ما يُتعاطى، وإنَّ فغيره من أنواع الصرف يدخل في مضمون الآية.

والعطف: هي التَّوْلَةُ التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث «إِن الرُّقْيَةُ وَالتمَامُ وَالتَّوْلَةُ؛ شرُكٌ»^(١).

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وصححه الألباني =

قال الشيخ في كتاب التوحيد: «والّهُ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحِبُّ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ»^(١).
 وهذا التحبيب الذي ليس طبيعياً ولا عقلياً، ولا بالأسباب المعتادة،
 بل هو تأثير سحري، يجعل في المسحور حبّ مفرط، فيتصرف تصرفات
 يخرج بها عن حدود العقل والحياة والحشمة.
 يقول الشيخ: (مَنْ عَمِلَهُ أَوْ رَضِيَّ بِهِ؛ كَفَرَ)؛ لأنَّ مَنْ رَضِيَ
 بالكفر، فهو كافر.

وقد ذكر الله شأن السحر في مواضع من القرآن، منها: قوله تعالى:
 «وَاتَّبَعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ» الآية [البقرة: ١٠٢].

كما ذكر قصة سحرة فرعون في مواضع متعددة من القرآن، يقول تعالى: «فَأَلْوَأُوا يَنْوَسَى إِمَّا أَنْ تُقْنَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَقْنَى»^(٢) [١٥] قَالَ بْلَ الْقَوْا فَإِذَا جَاءَهُمْ
 وَعَصَيْتُمُّهُمْ يُخْيِلُ لِيَتُهُمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى»^(٣) [١٦] فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِفَةً مُؤْسَى»^(٤) فَلَمَّا لَآ
 تَحْفَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى»^(٥) [١٧] ط، وفي الآية الأخرى يقول تعالى: «فَقَالَ
 الْقَوْا فَلَمَّا الْقَوْا سَحَرُوا أَعْيَنَ النَّاسِ وَأَسْتَهْبُوهُمْ وَجَاءُو سِحْرٍ عَظِيمٍ»^(٦)
 [الأعراف]، وفي هاتين الآيتين دلالة على أن سحرهم كان تخيلياً.

ولهذا يقال: إن السحر نوعان:

- سحر حقيقي: كالسحر الذي يُفرق به بين الزوجين والصديقين
 ونحوهما.

- سحر تخيلي: وهو الذي يخيلي فيه على الأ بصار، بحيث إن
 الإنسان المسحور يرى الأشياء على غير حقيقتها، فقد يرى - مثلاً -
 الحمار إنساناً، أو الإنسان حيواناً، أو الحصى ذهباً، أو العبال حبات
 تسعى كما فعل سحرة فرعون.

= في «السلسلة الصحيحة» (٣٣١).

(١) كتاب «التوحيد» ص ٣٠.

أما أن السحر يقلب الأعيان، فهذا لا يمكن، فالساحر لا يستطيع أن يقلب الإنسان حيواناً، أو يقلب الحيوان إنساناً، أو يقلب الذهب حجراً، أو الحجر ذهباً، يجب أن يفهم هذا الأمر، وأنه لا يقدر على قلب الأعيان إلا الله الذي خلق كل شيء بِهِ، والساحر إنما غاية عمل التخييل والتمويه على البصر، قال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَهْبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وكلّا السّاحرين من علم الشياطين، وكلاهما كفر. قال بِهِ: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ لَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَذَّبٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنَّ﴾ [طه: ٣٩]؛ فنفي الفلاح عن الساحر مطلقاً.

والسّحر إنما كان كفراً؛ لأنّه يقوم على الشرك ولا ينفك عنه؛ لأن الساحر يتقرّب إلى الشياطين، ويعبدّهم، ويطيعهم؛ فيطيعونه ويعينونه على ما يريد من الفساد والإفساد.

فالساحر من المفسدين في الأرض؛ لأنّه يفسد على الناس عقولهم ودينهم، وإذا فسد عقل الإنسان فسد دينه، فكم من إنسان - والعياذ بالله - ظُلِّم بالسحر، فشقّي في حياته فلم يستقم له دين ولا دنيا؟!

ومن العلماء من قال: إن السحر يختلف، فمنه ما هو كفر، ومنه ما ليس بـكفر، وهذا مبني على أن من السحر ما لا يستلزم الشرك، ولكن ظاهر القرآن أن السحر كفر كلّه.

أما ما يلبس به الملبوسون من بعض الأعمال الرياضية التي ترجع إلى خفة اليد بـزعمهم، وسرعة الحركة، والـسحر التمويحي: وهو ما يكون بـتمويه بعض المواد بما يُظهرها على غير حقيقتها، فهذا السحر سحر لغوي فقط، وليس من السحر الذي هو كفر، ولكنهم جعلوه وسيلة لترويج أعمال سحرية سحراً حقيقةً، كضرب الإنسان بالسيف من غير أن يقتله، وأكله الجمر، وبلغه الحيات، وثني الحديد بـعینه مما يشتمل عليه ما يسمى بـ«الـشرك».

* قال الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الثامن: مظاهر المشركين وتعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: «وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [المائدة: ٥١].

الشَّرْح

(الثامن) من النواقص: (مظاهر المشركين وتعاونتهم على المسلمين) معاونتهم على المسلمين بشتى طرق المعاونة، وشرّها معاونتهم على قتال المسلمين، فالشيخ يقول: إنه من نواقص الإسلام، ويستدلّ على ذلك بقوله سبحانه: «وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [المائدة: ٥١]. وظاهره الإطلاق، وأن أي معاونة للكفار على المسلمين، فإنها كفر وردة، وناقص من نواقص الإسلام.

فأمّا إذا كانت المظاهر للكفار على المسلمين نابعةً عن بغض الإسلام والمسلمين والرغبة في إذلال المسلمين؛ فهذا هو عمل المنافقين، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَيْهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِئَنَّ أُخْرَجُوكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نُطْعِمُ فِي كُوْنِ أَهْدَأُمْ وَلَيْسُ فُؤْلِسُتُمْ لَنَصْرَتُكُمْ وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَفُورُونَ ١١ لِئَنَّ أُخْرَجُوكُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْسُ فُؤْلِسُتُمْ لَا يَنْصُرُوكُمْ وَلَيْسُ نَصْرُوكُمْ لَيَوْلَنَّ الْأَذْنَرَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ١٢» [الحجر].

وأمّا إذا كانت المظاهر ليست في أمور القتال، وإنما في أمر من الأمور التي قد تحقق للكفار مصلحة، وتكون هذه المعاونة لغرض دنيوي؛ إما رغبةً أو رهبةً مع بغض الكفار والبراءة من دينهم؛ فهذه فيها نظر، ويمكن أن يستدلّ على أن ذلك لا يكون كفراً بقصة حاطب بن أبي

بلغة طريقه؛ وذلك أن حاطباً كان من المهاجرين، وكان ممن شهد بدرأ، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم؛ بل كان حليفاً لهم، فلما عزم رسول الله صلوات الله عليه على فتح مكة حين نقض أهلها العهد، فأمر النبي صلوات الله عليه المسلمين بالتجهز لغزوهم، وقال: «اللهم عَمْ عليهم خبرنا»^(١)، فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلوات الله عليه من غزوهم ليتّخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله صلوات الله عليه استجابةً لدعائه، فبعث علينا والزبير والمقداد قال: «انطلقو حتى تأتوا روضة خَانَ، فإن بها ظُعْنَةً معها كتاب فخذوه منها»، قال علي: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعنة، فقلنا: أخرجني الكتاب، قالت: ما معك كتاب، قلنا: لتخرجنَ الكتاب أو لنلقينَ الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عَقَاصِها^(٢)، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلغة إلى أنس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله، فقال رسول الله صلوات الله عليه: «يا حاطب ما هذا؟!»^(٣)، قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امراً مُلْصَقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتّخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلوات الله عليه: «إنه صدقكم»، فقال عمر طريقه: دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال رسول الله صلوات الله عليه: «إنه قد شهد بدرأ، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر،

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٥٢) من حديث ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها، قال الهيثمي: وفيه يحيى بن سليمان بن نصلة، وهو ضعيف. مجمع الزوائد (١٠٢٣٢).

(٢) أي: ضفائرها. «السان العرب» ٧/٥٥.

(٣) لما بلغت في القراءة هذا الموطن؛ بكى الشيخ.

قال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا عَذَّابًا وَعَذَّابُمْ أَوْلَاهُمْ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُوكُمْ مِنَ الْحَقِّ يَتَرَجَّحُونَ إِلَيْهِمْ وَإِلَيْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَآيَتُهُمْ مَرْضَافٌ تُشَرِّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَغْمُرُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمُ وَمَنْ يَفْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾ [المتحنة] إِلَخِ السُّورَةِ^(١)، وقد ختمت السورة بمثل البداية، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَلِنُو فَوْمًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوا الْكُفَّارُ مِنْ أَحْكَمِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة].



(١) رواه البخاري (٤٨٩٠)؛ ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

* قال الشيخ رحمه الله:

الناس: من اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلوات الله عليه، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى صلوات الله عليه; فهو كافر.

الشرح

(الناس) من الناقض: (من اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلوات الله عليه، ومعنى هذا الاعتقاد: أن شريعة محمد صلوات الله عليه ليست عامة لجميع الناس، فاليهود يسعهم الخروج عن شريعة محمد صلوات الله عليه، والنصارى يسعهم الخروج عن شريعة محمد صلوات الله عليه، أو كما يقول بعض الصوفية: إن العارف المحقق لا يلزمها العمل بشريعة محمد صلوات الله عليه; لأنه قد وصل إلى الله، وهو يتلقى المعرفة من الله بلا واسطة!

فمن زعم أن أحداً يسعه الخروج عن شريعة محمد صلوات الله عليه، وأنه يمكنه التدين لله والوصول إلى رضاه من غير طريق الرسول صلوات الله عليه، (كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى صلوات الله عليه) فمن اعتقاد ذلك (فهو كافر)؛ لأن هذا ينافق شهادة أن محمداً رسول الله؛ لأن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي الإيمان بأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأن أحداً لا يسعه الخروج عن شريعته؛ إذ لا طريق إلى الله أبداً منذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة إلا شريعته الخالدة المحفوظة، وقد سدَّ الله كل طريق إلى الجنة، فلا يفتح إلا من طريقه، قال صلوات الله عليه: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراوي ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»^(١).

(١) تقدَّم تخرِّيجه في ص ٢٣.

* قال الشيخ رحمه الله:

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالى؛ لا يتعلمه ولا يعمل به. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرِ بَيَانَتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَغْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنَقِّمُونَ﴾ [السجدة]، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً؛ فينبغي لل المسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآلـه وصحبه وسلم.

الشرح

(العاشر) من النواقض: (الإعراض عن دين الله تعالى؛ لا يتعلمه ولا يعمل به).

من ضروب الكفر: كفر الإعراض، فمن الكفار من يُعرض عن دعوة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه؛ لا يُصغي لها ولا يدرى عنها، يُدعى فلا يُصغي، ولا يتفكر ولا يتأمل.

ثم إذا كان الإنسان مُظهراً للإسلام شاهداً للشهادتين، لكنه أعرض عن دين الله، فلا يهمه حلال ولا حرام، ولا يعمل بشيء من دين الله، ولا يسأل عن شيء، فهو لا يصلي، ولا يصوم، ولا يحجّ، ولا يتصدق لله، ولا يذكر الله، ولا يتلو شيئاً من القرآن، ولا يترك الزينة خوفاً من الله، ولا يترك شرب الخمر خوفاً من الله، فإن تركه؛ فإنما لأنه لا يتهيأ له، فهل يمكن أن يكون مسلماً؟

لا يمكن أبداً؛ لأن هذا الإعراض الكلّي مناقض للشهادتين، فلو كان صادقاً لعمل بشيء من دين الله.

والكلام على هذا غير الكلام على بعض الأعمال التي يختلف أهل العلم: هل تركها كُفُرٌ أم لا؟ كالصلاحة مثلاً، فهذا موضوع آخر، فترك الصلاة فيه خلاف بين أهل العلم، ولا ريب أن الذي لا يصلني أبداً، أو لا يصلني إلا مجاملة للناس؛ أنه كافر.

واستدلّ الشيخ لهذا الناقض بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ بِشَائِدِ رَبِّهِ فَرَأَ عَرْضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُشَنَّقُونَ﴾ [السجدة: ٧] الآية الثانية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ بِشَائِدِ رَبِّهِ فَرَأَ عَرْضَ عَنْهَا وَسِيَّ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْتَهَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي عَادَاتِهِمْ وَقَرَا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا﴾ [الكهف: ٥٧]، وقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعَرِّضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، فهذا الذي يدّعى الإسلام، ويشهد الشهادتين، ثم هو معرض كل الإعراض عن دين الله، هذا الإعراض يكذب ما يدّعيه من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا النوع تجده إن عمل شيئاً؛ عمله نفاقاً، فإذا صار بين الناس وقاموا يصلون قام يصلني. أما إذا خلا، فلا يصلني ولا يصوم؛ لأن هذه أعمال لا يفعلها الإنسان خالياً إلا إذا كان مؤمناً بالله ورسوله، وبأنها أعمال صالحة تنفعه.

وقد ختم الشيخ هذه الناقض ببيان أنه لا فرق فيها بين الجاد والهازل، فمن عمل شيئاً من هذه الأمور، ولو كان غير جاد كما تقدم في الاستهزاء^(١)، أو عملها خائفاً فإنه يكفر، إلا المكره؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَشْرَهَ وَقْبَلَهُ مُظْمِنٌ بِإِلَيْمَنِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفُرِ صَدِرَّا فَعَلَيْهِمْ غَصَّبٌ مِنْ أَنَّ اللَّهَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٢٦]؛ فمن أكره بالتهديد بالقتل، أو الضرب الموجع على أن يقول - مثلاً - إن الرسول كذاب، وقال بلسانه ما يتخلص به من ذلك البلاء، وقلبه مطمئن بالإيمان؛ فليس بكافر.

والقلب لا يستطيع أحد أن يتسلط على ما فيه من اعتقاد ويكره على تركه، ولهذا جرت أحكام الدنيا على الظاهر، فالمنافق يعيش بين المسلمين منافقاً، وقلبه منطوي على الكفر، والمؤمن بين الكفار الذين لا يستطيع أن يتخلّص من شرّهم يعيش مؤمناً بالله، وهو في ظاهره كافر؛ لأنّه في بعض بلاد الكفر لا يسمحون لأحد من المؤمنين بإظهار الإسلام، كما فعلت الشيوعية، فكان من يحمل المصحف، أو يُظهر الإسلام؛ مصيره إلى الشنق، أو الإحرق.



وقوله : (وكلها من أعظم ما يكون خطراً ومن أكثر ما يكون وقعاً)

تأمل هذا في الواقع ! فما أكثر الشرك بالله الواقع بين الناس ؛ كعبادة القبور وغيرها ، والسحر وما أكثره فيما بين الناس فيسائر البلاد الإسلامية ، وما أكثر المستهزئين بالله وآياته ورسوله ، وما أكثر المعرضين الذين ينتسبون للإسلام ، ولكنهم لا يقيمون للإسلام وزناً ، لا علماء ، ولا عملاً ، وليس معهم من الإسلام إلا مجرد الانتماء ؛ كما يقال : إنه مكتوب في الهوية أنه مسلم ، وما أكثر

فينبغي على المسلم أن يحذر من أسباب الردة القولية والفعلية والاعتقادية ؛ لأن الردة والكفر قد تكون بالقول أو بالفعل أو بالاعتقاد . فالمنافق كافر لما ينطوي عليه كفره من شك ، أو إباء ، أو تكذيب . والذى بالعمل ، كالسجود للصنم والذبح لغير الله .

والذى باللسان ، كأن يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ، أو يستهزئ بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ، وإن كان مصدقاً به في الباطن فهو كافر ؛ لأن التصديق لا بد أن يتضمن الانقياد لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، والاستهزاء والسخرية والبغض لا تجتمع مع الانقياد ، فأبُو طالب عمّ الرسول ﷺ كان مصدقاً بقلبه وأظهر التصديق بلسانه ، وهو مع ذلك مُظهر لإبائه ، فلم ينفعه ذلك التصديق ، فمات على ملة عبد المطلب ، مع بذل الرسول عليه الصلاة والسلام النصح له إلى آخر رمق ، فقد جاءه وهو يحتضر ، فقال : « يا عم ، قل : لا إله إلا الله » ، فلم يزل يقول له : « قل : لا إله إلا الله » ، ومن عنده من جلساء السوء يقولون : أترغب عن ملة عبد المطلب^(١) ؟ فمات على قوله : هو على ملة عبد المطلب ، نعوذ بالله من الخذلان .

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه .

فعلى المسلم الإكثار من هذا الدعاء: **﴿رَبَّنَا لَا تُزْغِ فُلُونَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ﴾** [آل عمران: ٨]، وبما كان الرسول ﷺ يُكثّر من قوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١)، وأن يسأل ربه الثبات وحسن الخاتمة، كما كان من دعاء الأنبياء: **﴿تَوَفَّنِي مُسِّلِمًا وَالْحَقِّي بِالْمُصَلِّيْنَ﴾** [يوسف: ١٠١]، وهذا معناه: سؤال الله حُسْنَ الخاتمة فـ «إنما الأعمال بالخواتيم»^(٢).

نُسأله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أن يعصمنا من زيف القلوب، كما نُسأله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أن يُحسن لنا الخاتمة، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدًا.



(١) رواه أَحْمَدُ ١١٢/٣؛ وَالْبَخَارِيُّ فِي «الْأَدْبِ الْمُفَرْدِ»؛ وَالْتَّرْمِذِيُّ (٢١٤٠) - وَقَالَ: حَسْنٌ -؛ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ١/٥٢٦؛ وَالضِيَاءُ فِي «الْمُخْتَارَةَ» ٦/٢١١. من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفهرس

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٥	* مقدمة التحقيق
٧	* مقدمة الشارح
٩	أكثر العالم الإسلامي قد أثرت فيه الخرافة والبدعة
٩	الرافضة هم شر طوائف الأمة
٩	دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أثر من آثار دعوة الإمام ابن تيمية
١٠	معنى نواقض الإسلام
١٠	أمم الكفر تعمل ليل نهار لصد المسلمين عن دينهم
١١	من أقرب الطرق لإفساد المجتمعات المسلمة إفساد المرأة
١١	أسباب الرّدة كلها ترجع إلى أمرٍ واحد هو: مناقضتها للشهادتين
١١	شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن الإيمان بالله في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته
١٢	شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن الإيمان بأنه <small>رسول الله</small> أرسل إلى النّقلين
١٢	الشهادتين تقتضي العلم بمعناهما والانقياد لما دلت عليه
١٢	يمكن حصر النواقض في أصول: الشرك، والشك، والإعراض، والإباء، والاستكبار، والتكذيب، والجحود، والتنقص لله ولآياته أو رسوله، والنفاق
١٥	* الناقض الأول: الشرك في عبادة الله
١٦	الشرك نوعان: أكبر وأصغر
١٦	الناس بالنسبة للاستسلام لله ثلاثة: موحد، ومشرك، ومستكبر

الصفحةالموضوع

الكافر نوعان: أصلٍ، ومرتد	١٦
الشرك الأكبر له ثلات خصائص	١٧
* الناقض الثاني: مَن جعل بينه وبين الله وسائط	١٩
* الناقض الثالث: مَن لم يكُن المشركين أو شك في كفرهم أو صلح مذهبهم	٢١
الدعوة إلى وحدة الأديان باطلة تتضمن الكفر	٢٢
* الناقض الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه	٢٤
* الناقض الخامس: من أغض شيئاً مما جاء به الرسول ولو عمل به	٢٦
المراد من بغضه: البغض الديني العقلي	٢٦
لا يدخل في هذا الكراهة الطبيعية	٢٦
* الناقض السادس: من استهزء بشيء من دين الرسول ﷺ	٢٩
الاستهزاء بالله ورسوله يدل على التكذيب وإن لم يصرح به	٣٠
وسائل الإعلام مسرح للحن المنافقين	٣٠
سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَحَذِّرُ الْمُتَنَفِّقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُبَيَّنُهُمْ يِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾	٣٠
* الناقض السابع: السحر	٣٢
معنى الصرف والاعطف والتولة	٣٢
السحر نوعان: حقيقي وتخيلي	٣٣
السحر التمويحي سحر لغوي وليس من السحر الكفري	٣٤
السحر التمويحي جُعل وسيلة لترويج السحر الحقيقي	٣٤
* الناقض الثامن: مظاهر المشركين ومعاونتهم على المسلمين	٣٥
المظاهر للكفار إن كانت نابعة عن بغض للإسلام ورغبة في إذلال المسلمين، فهي نفاق	٣٥

الموضوع

الصفحة

إن كانت المظاهره في غير أمور القتال، ولغرض دنيوي مع بغض الكفار والبراءة من دينهم؛ فيها نظر ٣٥
قد يستدل بعدم كفر من فعل ذلك بقصة حاطب <small>رضي الله عنه</small> ٣٥
* الناقض الناسع: من اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد <small>صلوات الله عليه وآله وسالم</small> ٣٨
* الناقض العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ٣٩
في هذه النواقض لا فرق بين الجاد والهازل إلا المكره، فإنه يُعذر ٤٠
يجب على المسلم أن يحذر من أسباب الردة القولية والفعلية والاعتقادية ٤٢
* الفهرس ٤٥